

في امره وتنفيراً عنه وإلا فقد علموا انه اعقلهم. والمعنى: إنهم جننوه لأجل القرآن.

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّمَن يَخْتَرُ ﴿٥٢﴾

﴿وما هو إلا نكر﴾ وموعظة ﴿للعالمين﴾ فكيف يجنن من جاء بمثله. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القلم أعطاها الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم» (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحاقة وهي مكية

الْحَاقَّةُ ﴿٦﴾

﴿الحاقة﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب، أو التي تحوق فيها الأمور. أي: تعرف على الحقيقة. من قولك: لا أحمق هذا. أي: لا أعرف حقيقته. جعل الفعل لها وهو لاهلها، وارتفاعها على الابتداء وخبرها.

مَا لَمَّأَتْهُ ﴿٦﴾

﴿ما للحاقة﴾ والأصل: الحاقة ما هي؟ أي: أي شيء هي. تفخيماً لشانها وتعظيماً لهولها. فوضع الظاهر موضع المضمرة لانه أهول لها.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَمَّأَتْهُ ﴿٧﴾

﴿وما أدراك﴾ وأي شيء أعلمك ما الحاقة؟ يعني: أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه نراية أحد ولا وهمه. وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، وما في موضع الرفع على الابتداء، وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ ﴿٨﴾

القارعة التي تفرع الناس بالإفزع والاهوال، والسماء بالإنشقاق والإنفطار، والأرض والجبال بالكد والنسف، والنجوم بالطمس والإنكار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها. ولما نكرها وفخمها أتبع ذلك نكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكنيب تنكيراً لاهل مكة وتخويفاً لهم من عاقبة تكنيبهم.

فَأَنذَرْتُهُمْ نَارَهُمُ الَّتِي هُمْ يُكْفَرُونَ ﴿٩﴾

﴿بالطاغية﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، واختلف فيها. فقيل: الرجفة. وعن ابن عباس: الصاعقة. وعن قتادة: بعث الله عليهم صيغة فاهمتهم. وقيل: الطاغية مصدر كالعافية. أي: بطغيانهم. وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله.

وَأَنذَرْتُهُمْ نَارَهُمُ الَّتِي هُمْ يُكْفَرُونَ بِرِيحٍ مَّرْصَرٍ مَّرْصَرٍ ﴿١٠﴾

﴿بريح صرصر﴾ والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة، وقيل: الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر، فهي تحرق لشدة بردها. ﴿عاتية﴾ شديدة العصف، والعتو استعارة. أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياض بجبل أو اختفاء في حفرة، فإنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم. وقيل: عتت على خزائنها، فخرجت بلا كيل ولا وزن. وروي عن رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال، ولا فطرة من مطر إلا بمكيال، إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه السبيل» (٢). ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا لَمَّأَ طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (٣) وإنَّ الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل. ثم قرأ ﴿بريح صرصر عاتية﴾. ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمًّا بَالِغًا مِنِّي وَأَيُّهَا حُوشًا مَّقْرَّبَ الْفَوْمِ ﴿١١﴾

الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود، أو مصدرًا كالشكور والكفور، فإن كان جمعاً فمعنى قوله: حسوماً نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كربة بعد أخرى حتى ينحسم. وإن كان مصدرًا فلما أن ينتصب بفعله مضمرة أي: تحسم حسوماً بمعنى: تستأصل استئصالاً، أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له أي: سخرها عليهم للاستئصال. وقال عبد العزيز: ابن زرارة الكلابي:

لفرق بين بينهم زمان تنابع فيه أعوام حسوم
وقرأ السدى حسوماً بالفتح حالاً من الريح أي: سخرها عليهم مستأصلة. وقيل: هي أيام العجوز وذلك أن عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء

(1) رواه الثعلبي والواقدي وابن مروي في تفاسيرهم والزبيعي /4 = الطبري والثعلبي وابن مروي والطبراني والزبيعي 83/4.

(3) سورة الحاقة، الآية: 11.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة شهر بن حوشب وكذلك رواه =

وحسن تنكيهه للفصل.

فَإِنَّا نُنخِّعُ فِي أَسْرٍ نَقَمَةً زَيْدَةً ﴿١٣﴾

وقرأ أبو السمال: نَفَخَةٌ وَاحِدَةٌ بالنصب مسنداً للفعل إلى الجار والمجرور.

فإن قُلْتُ: هما نفختان⁽³⁾. فلم قيل: واحدة! قُلْتُ: معناه أنها لا تثني في وقتها.

فإن قُلْتُ: فأى النفختين هي؟ قُلْتُ: الأولى، لأن عندها فساد العالم. وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية.

فإن قُلْتُ: أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية! قُلْتُ: جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب. فلذلك قيل: يومئذ تعرضون، كما تقول جثته عام كذا، وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته.

رَحِمَ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ تَذَكُّرًا وَحِدَةً ﴿١٤﴾

﴿وحملت﴾ ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بخلق من الملائكة. أو بقدرة الله من غير سبب. وقرئ: وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة ﴿فدكتا﴾ فدكت. الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيباً وهباً منبثاً. والدك أبلغ من الدق. وقيل: فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمثا. من قولك: اندك السنم، إذا انفرش. وبغير أدك، وناقته نكاه ومنه اللكان.

يَوْمَئِذٍ وَقَمَتِ الْوَاوِيَةُ ﴿١٥﴾

﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة.

وَأَشَقَّتْ الْأَشَّةَ فَبَى يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾

﴿واهية﴾ مسترخية ساقطة القوة جداً بعد ما كانت محكمة مستمسكة.

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَجِلُّ عَرَشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَبِيئَةً ﴿١٧﴾

يريد والخلق الذي يقال له: الملك. ورد إليه الضمير مجموعاً في قوله: فوقهم على المعنى.

فإن قُلْتُ: ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة؟ قُلْتُ: الملك أعم من الملائكة الا ترى أن قولك: ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك: ما من ملائكة. ﴿على أرجائها﴾ على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني: أنها

وأسمائها: الصن والصنبر والوبر والأمر والمؤتمر والمعلل ومطفيء الجمر. وقيل: مكفى الظعن. ومعنى:

﴿سخرها عليهم﴾ سلطها عليهم كما شاء. ﴿فيها﴾ في مهابها أو في الليالي والأيام. وقرئ: أعجاز نخيل. مَهَلَّ رَعَى لَهُمْ مِنْ بَابِ سَخَّرَ ﴿٨﴾

﴿من باقية﴾ من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان.

وَمَا رَزَقْنَاهُ مِنْ قَبْلَ وَالْوَبْرِ كَيْفَ بِالْحَاطِئَةِ ﴿٩﴾

﴿ومن قبله﴾ يريد ومن عنده من تباعه. وقرئ: ومن قبله أي: ومن تقدمه. وتعصد الأولى قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاه. ﴿والمؤتفكات﴾ قرئ: قوم لوط. ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ أو بالفعل أو الأفعال ذات الخطأ العظيم.

فَمَسَوَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾

﴿رابية﴾ شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح. يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد ليربو في أموال الناس.

إِذْ لَنَا مَطَا أَلَمَاءٌ حَمَلْنَا فِي الْبَارِيَةِ ﴿١١﴾

﴿حملناكم﴾ حملنا آباءكم ﴿في الجارية﴾ في سفينة لأنهد إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آباءهم منة عليهم وكانهم هم المحمولين لأن نجاتهم سبب ولانتهم.

لِيَجْهَلَ لَكَ تَذَكُّرًا وَرَبِّهَا أَذُنٌ وَحِيَةٌ ﴿١٢﴾

﴿لنجعلها﴾ الضمير للفعل وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة. ﴿تذكرة﴾ عظة وعبرة ﴿أذن واعية﴾ من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل. وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك⁽¹⁾ فقد أوعيته. كقولك: وعيت الشيء في الظرف. وعن النبي ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية: سألت الله أن يجعلها أنك يا علي. قال علي رضي الله عنه: فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى⁽²⁾.

فإن قُلْتُ: لم قيل إنن واعية على التوحيد والتنكير! قُلْتُ: للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم. وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملثوا ما بين الخافقين. وقرئ: ﴿وتغيبها﴾ بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكيد. أسند الفعل إلى المصدر

(3) قال أحمد: وأما فائدة الإشعار بعظم هذه النفخة أن المؤثر لدى الأرض والجبال وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى.

(1) قال أحمد: هو مثل قوله: ﴿ولتنتظر نفس ما قدمت لغد﴾ وقد نكر أن فائدة التنكير والتوحيد فيه الإشعار بقلة الناظرين.

(2) سعيد بن منصور والثعلبي وابن مردويه زيلعي 84/4.

وقد استحب إثارة الوقف إثارةً لثباتها في المصحف. وقيل: لا بأس بالوصل والإسقاط. وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعاً لاتباع المصحف.

إِنِّي نَلَنْتُ رَبِّي مَلَكِي حَسَابِيَةَ ﴿١٦﴾.

﴿ظننت﴾ علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام. ويقال: اظن فلاناً كاليقين أن الأمر كيت وكيت..

نَهْوٌ فِي عَيْشَةِ رَاضِيَةٍ ﴿١٧﴾.

﴿راضية﴾ منسوبة إلى الرضا، كالدارع والنابل. والنسبة نسبتان: نسبة بالحرف، ونسبة بالصفة. أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها.

فِي حِكْمَةِ عَالِيَةٍ ﴿١٨﴾.

﴿عالية﴾ مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور. والأشجار.

فُكْرُهَا رَاضِيَةٌ ﴿١٩﴾.

﴿دانية﴾ ينالها القاعد والنائم.

كَلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثَا بِمَا ائْتَلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّيَالِيَةِ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كَيْتَبٌ بِسْمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي تَرَأَتُ كَيْتَبِيَةَ ﴿٢١﴾ وَتَرَأَتُ مَا حَسَابِيَةَ ﴿٢٢﴾.

يقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ أكلاً وشراباً هنيئاً، أو هنيئتم هنيئاً على المصدر ﴿بما أسلفتم﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿في الأيام للخالية﴾ الماضية من أيام الدنيا. وعن مجاهد: أيام الصيام أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتكم عن الأكل والشرب لوجه الله. وروى: يقول الله عز وجل: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلت شفاكم عن الأشربة وغازت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

يَلْتَنِي كَأَنِّي الْقَاضِيَةَ ﴿٢٣﴾.

الضمير في ﴿يا ليتها﴾ للموتة. يقال: يا ليت الموتة التي مئتها ﴿كانت القاضي﴾ أي: القاطعة لامري، فلم ابعث

تنشق وهي مسكن الملائكة فينضون إلى أطرافها⁽¹⁾ وما حولها من حافاتهما. ﴿ثمانية﴾ أي: ثمانية منهم. وعن رسول الله ﷺ: هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين⁽²⁾، فيكونون ثمانية. وروى: ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر. وروى: ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين اطلاقها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً. وعن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمك لك الحمد على حلمك بعد علمك. وعن الحسن: الله أعلم كم هم ثمانية أم ثمانية آلاف؟ وعن الضحاك: ثمانية صفوف لا يعلم عندهم إلا الله. ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون.

يَوْمَ تَمْرُسُونَ لَا تَخْفَى مِنِّي وَنَكْرَ حَافِيَةَ ﴿٢٤﴾.

العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله. وروى أن في يوم القيامة ثلاثة عرضات: فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله.

﴿خافية﴾ سريرة. وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم.

فَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كَيْتَبٌ بِسَمِيهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كَيْتَبِيَةَ ﴿٢٥﴾.

﴿فأما﴾ تفصيل للعرض. هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى: خذ كاف وحس وما أشبه ذلك. و﴿كتابه﴾ منصوب بهأوم عند الكوفييين وعند البصريين باقروا لأنه أقرب للعاملين. وأصله: هأوم كتابي، اقروا كتابي. فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. ونظيره: أتوني أفرغ عليه قطراً. قالوا: ولو كان العامل الأول، لقيل: اقروه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه، وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه⁽³⁾. وحق هذه الهآت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل،

لا ينبغي فتح بابه، فإنه نرية إلى ما هو أكبر منه، ولقد جرت بيني وبين الشيخ أبي عمرو رحمه الله مفارضة في قوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقاه﴾ على قراءة فحص انتهت. إلى أن الزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة؛ لأنني حججته بإثبات القراء المشاهير لها كذلك، ففهمت من ردهً لذلك ما فهمه من كلام الرزمخشري ههنا، ولم أقبله منه رحمه الله، فتراجع عنه، وكانت هذه المفارضة بمكاتبة بيني وبينه، وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته، وذلك صحيح؛ لأنها كانت في أوائل مرضه رحمه الله، والله أعلم.

(1) قال أحمد: كلاهما معرّف تعريف الجنس، فالواحد والجمع سواء في العموم.

(2) قال الزيلعي رواه الطبري ونكره الثعلبي من غير سند وهو في حديث الصور الطويل وقد استوفينا الكلام عليه في غير هذا الباب 85/4.

(3) قال أحمد: تحليل القراءة باتباع المصحف عجيب، مع أن المعتقد الحق أن القراءات السبع بتفاصيلها منقولة تواتراً عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فالذي أثبت الهاء في الوصل إنما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي ﷺ أيها، كذلك قيل أن تكتب في المصحف وما نفس هؤلاء إلا إدخال الاجتهاد في القراءات المستفيضة، واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظري، وهذا خطأ=

القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم. وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين. وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر. وقيل: هو منع الكفار. وقولهم: ﴿أَنْطَعَمَ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾. والمعنى: على بذل طعام المسكين.

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿حميم﴾ قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه ويفرون منه كقوله: ﴿وَلَا يَسَالُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

وَلَا طَلْمٌ إِلَّا مِنْ غَيْرِهِ ﴿٢٦﴾

والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فطين من الغسل.

لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفِئَلُونَ ﴿٢٧﴾

﴿الخاطئون﴾ الآثمون أصحاب الخطايا، وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب، وهم المشركون عن ابن عباس. وقرئ: الخاطيون بإبدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون كلنا نخطو. وروى عنه أبو الأسود الدؤلي: ما الخاطون؟ إنما هو الخاطون. ما الصابون؟ إنما هو الصابون. ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله.

فَلَا أَتَمُّ بِمَا تُبْهَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تُبْهَرُونَ ﴿٢٩﴾

هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر. وقيل: الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة أن هذا القرآن.

إِنَّهُمْ لَنُؤَلِّقُ رُسُلًا كَرِيمًا ﴿٣٠﴾

﴿لقول رسول كريم﴾ أي: يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿وما هو بقول شاعر﴾ ولا كاهن كما تدعون. والقلة في معنى العدم. أي: لا تؤمنون ولا تنكرون البتة. والمعنى: ما اكفركم وما اغفلكم.

نَزِيلٌ مِنْ رَبِّكَ نَزِيلٌ ﴿٣٣﴾

﴿تنزيل﴾ هو تنزيل بياناً لأنه قول رسول نزل عليه ﴿من رب العالمين﴾. وقرأ أبو السمال: تنزيلاً أي: نزل تنزيلاً. وقيل: الرسول الكريم جبريل عليه السلام. وقوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ (1) دليل على أنه محمد ﷺ، لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن.

بعدها ولم القى. ما القى. أو للحالة أي: ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي، لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها.

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٣٤﴾

﴿ما أغنى﴾ نفى أو استفهام على وجه الإنكار، أي: أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار.

هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٣٥﴾

﴿ملك عني سلطانية﴾ ملكي وتسلطي على الناس، وبقيت فقيراً قليلاً. وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأسد. وعن فنا خسرو الملقب بالعضد أنه لما قال: عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية. وقال ابن عباس: ضلت عني حجتى. ومعناه: بطلت حجتى التي كنت أحتج بها في الدنيا.

هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٣٦﴾ خُدُوهُ فَتُؤَدُّهُ ﴿٣٧﴾

﴿ثم للجحيم صلوه﴾ ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى، لأنه كان سلطاناً يتعظم على الناس. يقال: صلى النار وصلاه النار.

تُرَىٰ فِي سَيْلِهِ دَرَعُهُمْ سِيمُونَ ذُرَّاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٨﴾

سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثنائها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة، وجعلها سبعين نراعاً إرادة الوصف بالطول. كما قال أن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد، والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصليية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أقطع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم. ومعنى: ثم، الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصليية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدّة.

إِنَّهُمْ إِنْ لَا يُوْثِقُونَ إِلَّا بِاللَّهِ الْمَوْتِيرِ ﴿٣٩﴾

﴿إنه﴾ تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كانه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك.

وَلَا يَنْصُرُ عَلَىٰ طَلْمِ الْوَيْسِيِّنَ ﴿٤٠﴾

وفي قوله: ﴿ولا يحض على طعام للمسكين﴾ دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما: عطفه على الكفر وجعله قرينة له، والثاني نكر الحض بون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل. وما أحسن قول القائل:

إذا نزل الأضياف كان عنوزاً

على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على

وَلَوْ نَفَرْنَا عَيْنًا مَعَ الْآقَابِلِ ﴿٤٧﴾.

نَسَّحَ بِأَمْرِ رَبِّكَ الْأَمْطِيلِ ﴿٤٧﴾.

﴿فسبح﴾ اشبكر اسمه العظيم. وهو قوله سبحانه الله واعبده شكراً على ما أهلك له من إيحائه إليك. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ صورة الحاقة حاسبة الله حساباً يسيراً»⁽³⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المعارج مكية

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾.

ضمن سأل معنى دعا فدعى تعديته كأنه قيل: دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾ من قولك: دعا بكذا، إذا استدعى وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾⁽⁴⁾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحرث، قال: «إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»⁽⁵⁾ وقيل: هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب.

لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُم دَارِعٌ ﴿٢﴾.

للكافرين، وقرئ: سأل سائل: وهو على وجهين: إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون: سلت تسأل وهما بتسيلان، وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس: سأل سيلاً، والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر. والمعنى: انفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم. وعن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل، وبمن يقع فنزلت. وسأل على هذا الوجه مضمن معنى: عنى واهتم.

فإِن قُلْتُ: بِمَ يَتَصَلُّ قَوْلُهُ: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾؟ قُلْتُ: هُوَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مُتَّصِلٌ بِعَذَابٍ صِفَةٌ لَهُ، أَي: بِعَذَابٍ وَقَعَ كَائِنًا لِلْكَافِرِينَ، أَوْ بِالْفِعْلِ أَي: دَعَا لِلْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ وَقَعَ، أَوْ بِوَأَقَعَ أَي: بِعَذَابٍ نَازِلٍ لِأَجْلِهِمْ. وَعَلَى الثَّانِي هُوَ كَلَامٌ مُّبْتَدَأٌ جَوَابٌ لِّلسَّائِلِ، أَي: هُوَ لِلْكَافِرِينَ.

فإِن قُلْتُ: فَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ أَلَّهِ﴾ بِمَ يَتَصَلُّ؟ قُلْتُ: يَتَصَلُّ بِوَأَقَعَ، أَي: وَقَعَ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ بِدَافِعٍ بِمَعْنَى لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنْ جِهَتِهِ إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ وَأُوجِبَتِ الْحِكْمَةُ وَقُوعُهُ.

مِنْ أَنَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾.

﴿ذي المعارج﴾ ذي المصاعد، جمع معرج. ثم وصف

التقول افتعال القول؛ لأن فيه تكلفاً⁽¹⁾ من المفتعل، وسمي الأقوال المتقولة أقابيل تصغيراً بها وتحقيراً. كقولك: الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول. والمعنى: ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاملةً بالسخط والانتقام. فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته، وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في فحاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيبه وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه.

لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾.

معنى: ﴿لاخذنا منه باليمين﴾ لاخذنا بيمينه.

ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْإِتِينَ ﴿٤٦﴾.

كما أن قوله: ﴿للقطعنا منه اللوتين﴾ لقطعنا وتينه وهذا بين، واللوتين نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه. وقرئ: ولو تقول على البناء المفعول.

فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَذَى عَسْفَرٍ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْتَّوَّابِينَ ﴿٤٨﴾.

قيل: ﴿حاجزين﴾ في وصف أحد لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستويًا فيه الواحد والجمع والمنكر والمؤنث. ومنه قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾⁽²⁾ «لستن كاحد من النساء». والضمير في عنه للقتل. أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله أي: لا تقدر أن تحجزوا عنه القتال وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس.

وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ يَنْكُرُ مُكْذِبِينَ ﴿٤٩﴾.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وإننا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ وهو إبعاد على التكنيب. وقيل: الخطاب للمسلمين. والمعنى: أن منهم ناساً سيكفرون بالقرآن، وأنه الضمير للقرآن.

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾.

﴿لحسرة﴾ على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصنفين به أو للتكنيب.

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾.

وأن القرآن لليقين حق اليقين. كقولك: هو العالم حق العالم وجد العالم. والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين.

(3) ابن مردويه الثعلبي والواحد في تفسيرهم، زيلعي 4/85.

(4) سورة ص، الآية: 51.

(5) سورة الانفال، الآية: 32.

(1) قال أحمد: وبناء أفعولة من لقول، وهو معتل كما ترى غيب عن القياس التصريفي، ويحتمل أن تكون الأقابيل جمع الجمع، كالأنعام جمع أقرال وأنعام وهو الظاهر، والله أعلم.

(2) سورة البقرة، الآية: 285.